

المديح النبوي في ولاية تامل نادو

السيد/أبوبكر.كي^١

الدكتور/ محمد عابد. يو. بي^٢

الملخص:

ولاية تامل نادو هي ولاية هندية اتحادية تقع أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة الهندية^٣ وسكان هذه الولاية يعتزون بلغتهم وبقومهم وقدموا خدمات جلييلة لترقية لغتهم و أديهم ومع أنهم خدموا اللغة العربية وألّفوا في مختلف فنونها. إن المدائح النبوية لا زالت ولا تزال من أبرز أغراض الشعر العربي في ولاية تامل نادو «القصيدة الشفعية» للشيخ تكية صاحب الصغير وهي أول قصيدة عربية أصلية عرفت لأهل تامل نادو. ومساهمة علماء التامليين في هذا الفن يضارع بمساهمة مداح الرسول القدامي منذ عهد بعيد والمدح مصدر إلهام لدى الشعراء في كل عصر ومصر وازدهر هذا الفن من الشعر العربي في هذه الولاية ازدهارا عظيما وفي مقدمتهم «الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري (الكايي) والشيخ تكية صاحب ومولانا باقرآغا، وعمر ولي والشيخ محي الدين وغيرهم. وكثير من علماء هذه الولاية ألّفوا مؤلفات كثيرة في لغة التاملية يمدحون فيها النبي صلعم وأشادوا بفضل صلعم وأبحث هنا عن الشعراء الذين مدحوا النبي صلعم في اللغة العربية فقط.

الشيخ صدقة الله أبا القاهري (الكايي)

ولد مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري سنة ١٠٤٢هـ في كايي بتتم وهو من الشخصيات الفذة اللاتي أنجبتهم ولاية تامل نادو. وبذل جهدا كبيرا لخدمة الدين والأدب واللغة العربية هو من ذرية أمير المؤمنين أبوبكر (ر). وتلقى العلوم الابتدائية من أبيه الشيخ سليمان وحفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم درس من العالم الكبير عبد القادر المخدومي المعروف باسم «شيشنا لبا عالم». ونشأته في بيت العلم والفضل جعله من مقدمة المساعدين للوطن ومعارضاً شديداً على القوي المستعمرين من البرتغاليين. وقد شمر عن ساقية لمواجهة الاحتلال الأجنبي. وللشيخ صدقة الله يد طولى في إنشاء المعاهد الدينية والمؤسسات العلمية في ولايته وبالجملة. «إن تاريخ ولاية تامل نادو لا يتم بدون هذا الشيخ الجليل والعبقري العظيم.»

وأشهر ما ألف به هي: «مخمس قصيدة الوترية» وهذه مخمس لقصيدة الوترية للإمام أبوبكر بن محمد

١ الباحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق وأستاذ مساعد، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، كاليكوت، كيرالا،

٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

٣ أديب الخليل. الموسوعة العربية، المجلد الخامس. الجمهورية العربية السورية: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢م.

البغدادي يقول الشاعر عن حبه للنبي صلعم.

وحبك في لحي وعظمى مداخل به مالشيطان بقلبي مداخل
ولا شوب في هذا ولا فيه داخل أكيد رجائي أثنى بكل داخل

لا نجد أحدًا من الشعراء العرب يصف عن حبه للنبي صلعم كما يصف به صدقة الله أبا بأن حب النبي صلعم مختلط في لحمه ودمه بكل ثقة ولا يمكن للشيطان أن يدخل في قلبه لأن القلب مملوء بحب النبي صلعم. وهو يصف عن شخصية المصطفى المختار كما يلي:

و وجهك كالبدر المنير تهللا وظل بتسخير الغمام مظلا
له سجد الفحل العضوض مذلا بزقت ببير والعجين تقللا.

ومن مؤلفاته المشهورة: القصيدة القطبية، خمس قصيدة البردة، خمس قصيدة بانة سعاد، خمس قصيدة الوترية، وفي كتابه المسمى «ترجمة الهجة» يبين عن حياة النبي صلعم ومآثره الشريفة. القاضي ارتضى على خان صاحب نفائس الارتضية. ولد في كويم (Koppam) ١١٩٨هـ وأبوه المولوي مصطفى علي خان بهادور. سافر في الخامسة عشر من عمره إلى كنهو وأخذ العلم عن كبار العلماء ثم سافر إلى «ساندلا» (Sandila) ثم إلى بلغرام الذي كان مركزا للعلوم والتصوف آنذاك. ثم عاد إلى مدراس سنة ١٢٢٥هـ وعاش مع والده مشغلا بتعلم اللغة العربية والفارسية. ثم صار مفتي الدولة واستمر في هذا المنصب خمس سنوات فصار قاضيا في «شتور» تحت الحكومة البريطانية ثم عينه البريطانيون قاضي القضاة ثم ذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة ولكن بعد إتمام الحج لفظ نفسه الأخير سنة ١٢٧٠هـ من مكة المكرمة. ومن مؤلفاته في اللغة الفارسية

١. اهتداء الناسك لأداء المناسك
٢. التحفة المرضية والصلاة الارتضية على خير البرية.
٣. تيسير المعسور (شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور للسيوطي)

وأهم مؤلفاته العربية

١. التصريح في المنطق
٢. حاشية صدرا
٣. شرح جلالية التهذيب
٤. المنحة السراء في الدعاء الكاشف الضراء (شرح أسماء الله الحسنى)
٥. النفائس الارتضية شرح الرسالة الغريزة.^٢

١ الدكتور ك.م.ع. أحمد زبير. ثقافة الهند. المجلد ٦٤. العدد ٤، نيودلهي: الجامعة المليية، ٢٠١٣ م.
٢ هذا كتاب مقرر في منهج الدراسات في معظم أنحاء تامل ناديو

عمرو لي صاحب «ألف الألف» ١١٦٢-١٢١٦

هو ابن الشيخ عبد القادر وينتهي نسبه إلى صدقة الله أبا من جانب أمه^١. و ولد في كايل بتنم وتلقى العلوم من الشيخ محمد الجفري الخضرمي وبعد وفاته ذهب إلى مكة المكرمة وسمع من بعض الشيوخ في الحرم الشريف مثل الشيخ محسن المقيبلي الصوفي ومكث هناك خمس سنوات ثم عاد إلى وطنه ثم لقي الشيخ السيد محمد البخاري وأثره الشيخ تأثيرا بالغا ثم سافر إلى كثير من البلدان حتى وصل إلى تايلاند (Thailand).

و بعد رجوعه منها اشتغل في قرض الشعر التاملية والعربية وتوفي سنة ١٢١٦.

ومن أشعاره المشهورة

١. ألف الألف.
 ٢. إلهي كم تبقيني
 ٣. بحر السر
 ٤. بشارة الله
 ٥. شكايه الغرام إلى جميع المرام
 ٦. كتر الجنان
 ٧. غرائب النظام
 ٨. هداية الأغنياء
- قصيدة ألف الألف.

وميزة الكبرى لهذه القصيدة هي أن الشاعر أتى في كل سطور من سطرها حروف الهجاء من أوله إلى آخره مرتبه بدون تصنع وتكلف. تبدأ بحرف الألف وتختتم بالياء.

أَوَّلِ السُّطُورِ بِسْمِ اللَّهِ بَدَأَ الْقَالَ قَالَ	أَلْفَ الْأَلْفِ نِظَامٌ مَدْحٍ أَعْلَى الْعَالِ عَالٍ
أَحْمَدُ اللَّهِ مُصَلِّيًا مُسَلِّمًا عَلَى	أَحْمَدٍ وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ مَنْ لِلْأَلِ آلِ
بَالِغُ مِعْشَارَ مَا أُوتِيَ بِمَا فِي الْبَالِ بَالٍ	بَالِغِ الْمُدَّاحِ فِي أَوْصَافِهِ فَمَا بَلِغِ
تَابَ عَنْ وَدَادِ طَةَ تَالِيًا لِلتَّالِ تَالٍ	تَاهَ قَلْبِي مُدًّا آتَيْتُ وَادِي النَّقَا فَمَا
ثَانِيًا مَا ثَالِثًا بَلْ ثَانِي الْأَمْثَالِ ثَالٍ	ثَابَتْ ثَابِتُ الدُّرَى مِنَ السُّرَى إِلَى التُّرَى
جَمْعًا وَفَرَقًا بَعْدَ جَمْعِ الْجَمْعِ لِلرِّجَالِ جَالٍ	جُودٌ مَنْ جَادَ الْوُجُودَ وَجُودَهُ جَادَ الْجَوَايَ
دُمْتُ فِي جَنَاتٍ وَصَلِي حَالَةَ الْأَبْدَالِ دَالٍ	الدَّهْرِ دَائِمَ الْخُضُورِ وَالشُّهُودِ

١ كما جاء في حديقه المرام.

ذُرْعِيًّا لِأَذَى الْهَوَى مَعَ الْأَحْبَابِ بِالنَّوَى
ذُدَّ عَنِ الْقَلْبِ الْهَوَى وَاتْرُكُ مِنَ الْأَنْذَالِ ذَالُ
تكياء صاحب الكبير كايلى بئتم ١١٩١-١٢٧٢

وهو الابن الأكبر لعمر ولي صاحب «ألف الألف» يعرف باسم عبد القادر تكية صاحب الكبير. وهو العالم الجليل يمتاز بين أهله بالمناقب والشرف العظيم وقد حاز الشيخ الدرجة الرفيعة بمعاملاته الفعالة حسب الحاجة. إنه بعد ما تم حفظ القرآن أخذ يتبع شيخ أبيه السيد محمد جعفر الخضرمي وكذا أخذ العلوم من السيد على الذي جاء من حضرموت وكان من عادته أنه يزور الأماكن الصوفية في الهند. وكان من خصلة هذا الشيخ أنه لا يخاف في الحق لومة لائم وانتقد المليباريين لاتباعهم «النظام الأموي». وقال:

يقولون إنا قد وجدنا مدى الزمان على أمة أسلافنا نحن من درى
نغادر أولادنا ونحرم والدا بنوا الأخت أورثنا كما عرفنا جرى
أسألكم من هؤلاء بما يلي سماهم تجارتهم ربا كان خاسرا
نصارى سلاطين لهم لا لهم لحي وعلماءؤهم قد وافقوهم بلا مرا.

وكان يقرض الشعر في مدح النبي صلعم مع موافقة السجع القافية. ومنه بيت «أحمد الله» وهذا البيت ينشد متعلمو تميل نادو عند بداية دروسهم. بيت أحمد الله:

أحمد الله الولي صلى على خير النبي باسم خير منجلي يا سيدي خير النبي
خفت من نفسي هلاكا قبل عرفاني مبيد العدى مجل الصدايا سيدي خير النبي
زرت كل زايريك بقضاء الأرب سر لنحو من نحاك سيدي خير النبي
شفه نظرة الرحيم الكاشف الكرب صنه عن كل الهلاك سيدي خير النبي
غاض بحر الحق من دارك فروض الأدب فارأنهار البواطل قنا خير النبي
قدمتي قد متنى قد متنى مشربي^١ كلمتني كلمتني يا نبي
ليزيد الحب منى أن أزورك نبي من فضلا منك لقبيا وجهكم خير النبي
نق قلبي من دخول الغير سوء الأدب وجهكم ضعوا على وجه الصبي خير النبي
الصلوة السلام عليك يا رسول الله الصلوة والسلام عليك يا خير النبي

١ وفي رواية أخرى. قد متنى قد متنى مشربي قربني واسقه يا سيدي خير النبي

تكميا صاحب الصغير كيلاكرای (الشيخ عبد القادر) ١١٩٢-١٢٦٧

ولد الخطيب المصقع والشاعر المشهور في كايلا بتنم سنة ١١٩٢ في أسرة مشهورة وجده كناميلي محمود نينا. وفي سنة ١٢٤٠ سافر إلى كيلاكرای حيث أقام «تكميا» للتلاوة ومدائح النبوية والعبادة. وإنه زوج إبنته لما بلا لباي عالم صاحب المعروف بمادح السبطين بمدحه الإمام حسن وحسين (ر) وصار هو وارثاله يحفظ ما خلف من جميع ذخائر العلم والمعرفة. ^١ وأهم ما ألف هي القصيدة «الشفعية في مدح شافع الجمعية» المشهورة بالقصيدة الشفعية. وهي تشبه بمخمس قصيدة الوترية للشيخ صدقة أبا القاهي (الكايلي) والقصيدة تبدأ بسم الله والصلاة على النبي صلعم

أبسم الله ببدأ القصائد أحمد للرحمن رب العوائد

أفاض الرحيم ما صلاة على يد أمان وإله مع صحاب فوائد

وبعض الأبيات في هذه القصيدة تمتاز باستعمال الأحرف المنقوطة فقط. مثل:

جنيت بذني تجني تبت نقني تقي نقي زين ظني يشقني

شقي يشين جنب ذنب فبقني نظيف يتين يشفقن بتيقني

ويعبر الشاعر حزنه العميق عما أفات من فرص لنيل العلوم ويرجو من الله العفو حيث يقول:

طلبت علوما ما بها أنا عامل ومثلي كمثل الجان إبلس حامل

لكل ذنوب إن من هو كامل ثمان جنان مشترو هو شامل

ولكنني أرجو وإن كنت عاصيا لغفران ذنبي يوم شفيع نواصيا

بمدح نبني كان برامواسيا ثنيت به عن مدح من كل ناسيا^٢.

سيد تاج الدين تاج ت ١٢٧٤

وهو صاحب التصانيف الجليلة في اللغة الهندية والتاملية والفارسية. وكان أبوه متضلعا في علوم الدين. ومن مؤلفاته: بحر الهدى في شرح قطر الندى، رد المنقط، رشح الهدى، رشف الهدى، رقوم القرآن، زينة الطلاب لألوان الحساب، شرح بانة سعاد، شرح قصيدة البردة، شرح منار، صميمة الزنجاني، نهر الهدى، هداية الإيمان وغيرها.

صبغة الله قاضي بدرالدولة ١٢١١-١٢٨٠

وهو الابن الأصغر للمولوي محمد غوث شرف الملك بهادور ولد بمدراس سنة ١٢١١ وبعدما أخذ مبادئ

١ تاج الدين المناني محاضرات في الدورة المكشفة جامعة كالكوت. ديسمبر ٢٠١٨ م.
٢ د. أحمد زبير. ثقافة الهند. المجلد ٦٤. العدد ٤. ٢٠١٣ م.

العلوم العربية والفارسية من أبيه درس النحو من ملا بحر العلوم عبد العلي ثم درس اللغة من الأستاذ علاء الدين أحمد وكان طبيباً ماهر في اليونانية. قد فرغ لجمع الكتب العربية والفارسية حتى صار لديه مجموعة من الكتب القيمة عمل في خدمة نواب عظيم الدولة بعد وفاة والده وفي ١٨٤٩ لقبه نواب غلام غوث خان بهادور «بإمام العلماء». ونواب غلام غوث خان من تلاميذه. وله يد طولى في علوم الحديث.

مؤلفاته

الأربعين في معجزات سيد المرسلين، إزالة الصمة في اختلاف الأمة، الثبت في أسانيد الأحاديث، ذيل على القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، رسالة صغرى في السير والمناقب، رسالة في إعراب الرب، رسالة في تعليم النساء الكتابة، رسالة كبرى في السير والمناقب، الطارق في رد المارق، عمدة الرائض في فن الفرائض، مطلع البدرية شرح الكواكب الدرية، نور العين في مناقب الحسين

محمد باقر آغا ١١٥٨-١٢٢٠

هو السيد باقر مرتضى آغا الشافعي الويلوري قرأ العلوم من أبيه ثم من علماء عصره حتى صار عالماً مشهوراً في الأمور الدينية وفي اللغة العربية. يقول إحتشام أحمد الندوي إنه أول من صنف الكتب باللغة الأردية. وأهم ما ألف في المديح النبوي هي «النفحة العنبرية في مدحه خير البرية» وهذه القصيدة هي مجموعة القصائد في مدح الرسول صلعم والقصيدة تحتوي ١٤٧٩ بيتاً من مجموعة «الهمزية» و«اللامية».

بداية القصيدة الهمزية:

الحمد للرحمن ذي الآلاء حمدا يفي بفيوضه الهطلاء

الواجب المختار جل صفاته عن حيلة التقييد كالأسماء

ولباقر آغا غير النفحة العنبرية تنوير البصر والبصير في الصلاة على النبي بذكر السير والنهضة العنبرية في الصلاة على خير البرية.

تشطير القصيدة الوترية

وكما قرض الشيخ صدقة الله أبا مخمس الوترية قرض الشيخ صلاح الدين تشطيراً على الوترية. التشطير معناه أن ينظم مصراعاً جديداً لكل مصراع أصلي في البيت ويلصقه قبل الصراع الأصلي للثاني. وبداية القصيدة

إنني أنا مادح طاها خير من أرضين وطاها

مادح قاصد منه جاها وشفاعة حيث وجاهها

الشيخ سام شهاب الدين ولي (١٠٤٥-١١٢١)

صاحب ميلاد السامي في مدائح النبي التهامي. يمدح الشاعر النبي صلعم في الأبيات التالية.

صلوة وتسليم وأزكى تحية على المصطفى الهادي البريا محمد

وتختم القصيد كما في السطور الآتية

نقي تقي أبطي وزمزمي زكي ذكي نودعي ومرغبي

ينابيع تسليم صلوة كديمة دواما جرت من حضرة الله للنبي

الشيخ محي الدين - والقصيدة المحمدية

تشتمل القصيدة على ١٣ مخمس.

أؤلف نظمي باسم مولى مصمد أوليه تحميذا بروم محمد

أعلى سلاما دوم دهرمؤمد أصلى على خير الأنام محمد

لأنت إمام الأنبياء مؤيد لأمتكم فضل عليهم مزيد

لأدعوك يا من هو للرسول سيد لأنى عاص بالذنوب مقيد

ما بلا لبا عالم صاحب ١٢٣٢-١٣١٦

وهو من أسرة «مادح الرسول» صدقة الله أبا وإنه بعدما تلقى مبادئ العلوم حفظ القرآن في صغره ولقب بمادح السبطين بمدحه لسبطي الرسول صلعم الحسن والحسين. ومن مؤلفاته: جوهرة الثمين في منتخب سيرة الأمين، قصيدة عاشقية عن الرسول صلعم، مواهب القوي في مناقب الحسنين (ر)

الخاتمة

حسب ما بحثنا في هذه المقالة عن المديح النبوي في ولاية تامل نادوا. نرى إن خدماتهم في هذا المجال ملحوظ وإنهم على اعتزازهم بلغة التاملية وهم بذلوا جهدا كبيرا ي تمجيد هذا النبي الأمي الأمين الذي فاق العالمين خلقا وخلقاً. وكتبوا كتابا كثيرة ونظموا قصائد عظيمة التي تشابه بقصائد العرب الخالص التي تشتاق قلوب محبي النبي صلعم.

المصادر والمراجع

١. أحمد زبير. ثقافة الهند. المجلد ٦٤. العدد ٤. نيودلهي: الجامعة المليية، ٢٠١٣ م.
٢. أديب الخليل. الموسوعة العربية، المجلد الخامس. الجمهورية العربية السورية: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢ م.
٣. تاج الدين المناني محاضرات في الدورة المكشفة جامعة كالكوت. ديسمبر ٢٠١٨ م.
٤. ابن منظور. لسان العرب. ج ١. بيروت: دار المعارف، ١٩٨٩ م.
٥. مجموعة الدعاء والأبيات. ترورنغادي: مكتبة الهدى، ١٩٩٥ م.